

قنوات الأطفال وأثرها في اللغة العربية للطفل أ. د. عصام عيد فهمي

تأتي قنوات الاتصال الإعلامية في مرتبة متقدمة من ناحية القوة والتأثير على اكتساب الطفل المهارات والقيم واللغة ، وربما تفوق في ذلك المنزل والمدرسة والشارع والأهل والأصدقاء.

وقد تنوّعت هذه القنوات الاتصاليّة ؛ فبعضها مقروء - كما هو الحال في المجلات والقصص والكتب - ، وبعضها مسموع - كما هو الحال في المسجّل والإذاعة - ، وبعضها مرئيّ - كما هو الحال في التلفاز والفيديو - . وإنّ أكثر هذه القنوات تأثيراً على لغة الطفل وسلوكياته وقيمه وأشدّها جاذبيّة له القنوات المرئية ؛ فقد يأتي التلفاز قبل الأمّ أو الأب أو بعدهما في التأثير المباشر على الطفل ، بناءً على درجة اهتمام الأبوين بالأبناء.

وإزاء إهمال الأسرة للغة الطفل، وإثرائها بالمخزون اللغوي الكافي المحفوظ من القرآن الكريم والحديث الشريف والحكم والأشعار، وتركها أولادها مع الخدم والمربيات والسائقين في بعض المجتمعات تنشأ علاقة مبكّرة بين التلفاز والطفل؛ حيث يقضي الطفل وقتاً طويلاً في الاستماع إلى نصوص حيّة واقعية بداية من سنه الأولى أمام شاشة التلفاز. وتظهر عليه تأثير هذه القنوات عند حديثه مع إخوته أو أصدقائه عندما يجتمعون بشكل تلقائيّ، محاولاً تلوين كلامه وتنغيمه للتعبير عما يريد من معانٍ وأساليب؛ كالاستفهام والإنكار والمدح... إلخ.

إنّ الاهتمام بما يُقدّم للطفل في القنوات المرئية ينبغي أن يكون من أولويات وزارتي الثقافة والإعلام في العالم العربي، ومن أولويات القائمين على البرامج والقنوات المعنيّة بشأن الأسرة والطفل؛ لما يترتّب على ذلك من دور مهمّ في تشكيل وعي الطفل بقيمه ، وتنمية لغته.

إنّ الحقيقة المؤكّدة تتجلّى في استخدام الطفل أكثر من حاسّة في التلقّي حين استقباله للمادة التلفزيونية، وذلك يؤدي إلى تأكيد الفكرة وتثبيتها في الذهن ؛ فعند مشاهدة الطفل البرامج والأفلام والأنشيد والألعاب يستخدم حاستي البصر والسمع . وينبغي الاستفادة من ذلك في تعزيز اللغة العربية للطفل ، وإكسابه مهارات لغويّة مفيدة.

ليس يعنينا في هذا البحث ما في قنوات الاتصال المرئية من انحرافات أخلاقية وسلوكية وعقائدية واجتماعية ؛ حيث يترك الآباء أطفالهم هملا بين قنوات تضم بلدانا عربية وغير عربية ، وإسلامية وغير إسلامية ؛ فينحرف سلوكه، وتشدّ قيمه وعاداته عن قيم المجتمع وعاداته.

إنّ ما يعنينا في هذا البحث هو بيان أثر قنوات الأطفال التلفزيونية على لغة الطفل ؛ فبعض هذه القنوات يستعمل اللغات الأجنبية في برامجها، وبعضها يستعمل اللهجة الدارجة المحكية (المصرية أو السعودية أو الأردنية أو غيرها) ، وبعضها يستعمل العربية الفصحى وبخاصّة في البرامج المدبلجة والأفلام المدبلجة عن الكرتون الياباني أو الأمريكي أو غيرها.

لقد نجحت قنوات الأطفال في ربط الطفل بلغته العربية الفصحى في بعض الأحيان ، بيد أنّها في أحيان أخرى تأتي ركيكة ومتكلّفة وغير منضبطة معتمدة على وسائل الإثارة والجاذبية؛ مثل : الموسيقى والرقص والغناء - على حساب المفردات المنضبطة والتراكيب الجيدة والجمل المفيدة.

وينبغي الحرص على تشجيع وسائل الإعلام العربية على استخدام العربية الفصحى في برامجها الموجّهة وقنواتها المهتمّة بتشكيل وعي الأطفال.